قيم الإنسان

من خلال سورة لقمان

فضيلة الشيخ غازي حنينة

www.aklamona.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي سورة لقمان :

سورة لقمان: مكية، عدد آياتها 34 ,ترتيبها في المصحف 31, بعد الروم وقبل السجدة،

سميت سورة لقمان لاشتمالها على قصة "لقمان الحكيم" التي تضمنت فضيلة الحكمة وسرّ معرفة الله تعالى وصفاته، وذم الشرك، والأمر بمكارم الأخلاق، والنهي عن القبائح والمنكرات وما تضمنته كذلك من الوصايا الثمينة التي أنطقه الله بها، وكانت من الحكمة والرشاد بمكان.

محور مواضيع السورة:

هذه السورة الكريمة سورة لقمان من السور المكية التي تعالج موضوع العقيدة وتعني بالتركيز على الأصول الثلاثة لعقيدة الإيمان وهي الوحدانية والنبوة والبعث والنشور كما هو الحال في السورة المكية.

مضامين الآيات ومعانيها الإجمالي:

رسم لقمان منهجا كاملا يستوعب جميع جوانب الشخصية السوية للإنسان ومن شأن هذا المنهج لو أحسن تطبيقه والاستفادة منه ألا يقتصر على تخريج الشخصية الصالحة دينيا واجتماعيا فحسب ، وإنما يخرج الشخصية العظيمة لها شأنها في قيادة المجتمع إلى الخير والصلاح، وهذا ما تشير إليه وصايا لقمان بوضوح من حيث إنها تهدف إلى محاولة أن يجعل من ابنه عظيما ويرسم له كل المعالم التي تؤدي إلى هذه الغاية ،والمتأمل في وصايا لقمان يجد أنها تؤدي إلى صلاح الدين والدنيا وهذا الذي يعرف عند السلف بجوهر التدين الكامل بالنسبة للناس جميعا ، ولما كانت القاعدة الشرعية تقول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فعليه فإن الله سبحانه وتعالى ارتضى وصايا لقمان أن تكون وصايا للناس أجمعين ومنهجا للعالمين.

وعندما رسم لقمان لابنه طرق السعادة والقيادة والعظمة والسيادة

الأبعاد الفرعية الستة لتنظيم القيمي للشخصية كما ورد في وصايا لقمان في القرآن الكريم

1-البعد الروحي 2- البعد العقلي المعرفي 3-البعد البيولوجي 4-البعد السلوكي الأخلاقي

5-البعد الاجتماعي الخاص والعام 6- البعد الانفعالي العاطفي

قبل أن نوضح الأبعاد الستة للتنظيم القيمي للشخصية كما وردت في

وصايا لقمان لا بد من الإشارة إلى أن هذه الأبعاد متداخلة و متكاملة ، وهي كالحلقة لا ندري أين طرفها ، والهدف من التقسيم هو لغرض الدراسة والتصنيف ولا يمكننا دراسة واحد منها بمعزل عن الآخر فهي متكاملة البيان والمعنى وقد تترجم الوصية الواحدة أو تحمل في ثناياها عددا من الأبعاد

الفرعية في هذا التصنيف أو في غير هذا التصنيف.

1-**البعد الروحي**:

ويترجم هذا البعد إلى الإيمان، والعبادة، وعدم الشرك بالله والصلاة، وهذا البعد شملته وصايا لقمان كافة في هذه السورة ولكنه أكد في الوصية الأولى كما في قوله تعالى (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) والوصية الثانية (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما)

والوصية الرابعة [يا بني أقم الصلاة] ولقمان بدأ بالجانب الأهم وهو غرس العقيدة في نفس ابنه؛ لأنها تمثل الحياة المعنوية التي تقوم عليها الكيان الحقيقي للشخصية السوية، فضلا أن يكون الاعتقاد عن وعي وفهم واستيعاب فإنه يدفع صاحبه الصلاح الدين إنما للصلاح الدنيوي.

2-**البعد العقلي المعرفي**: ويتمثل هذا البعد في التفكير والتدبر والنشاط الذهني العام والخاص ولهذا البعد ثلاثة اعتبارات:

أ- إنه جعل الاعتراف بوجود الله سبحانه والوهيته شيئا ماثلا في العقل ولا يوجد حتى احتمال أن يتشكل العقل أعني عقل ابنه في حقيقته ووجوده ولذلك لم يوصه بمبدأ الإيمان بالله ولم يخوفه من الكفر به، وإنما خوفه ونهاه عن أن يشرك مع الله إلها آخر.

ب- أراد أن يبين له دور العقل والمنطق في كشف مغبة الشرك بالله فأوجز له هذه الوجهة في أنها إجرام عظيم من المشرك في حق نفسه، لأنه بالشرك يهدر عقله الذي يعتبر الميزة الوحيدة للإنسان عن سائر المخلوقات فإن اعتد بعقله واستفاد به لما أشرك ذلك قال لقمان [إن الشرك لظلم عظيم].

ج-إن لقمان لا يريد لابنه أن تكون عقيدته مجرد إيمان سلبي "أبو سعده دت: 109"بدون علم ومعرفة وإنما يريد أن يكون إيمانه إيجابيا محرك ا وموجها وهو المعنى الذي يكمل به الإيمان فيجعل صاحبه صالحا للدين والدنيا، وهذه الإيجابية تتمثل في رقابة الله سبحانه على كل شيء، وكأنه يقول لابنه: لا يكفي مجرد إيمانك بالله، وإنما ينبغي أن تتمثل دائما رقابة الله عليك في كل من صغيره وكبيره، فقال [يا بني إ نها

إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أوفي السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير].

3-**البعد البيولوجي**: ويتمثل في الصحبة والرضا والأمل والاعتدال ، في الخلق الذي يراد به هنا المعنى النفسي باعتباره مصاحبا للعقيدة واختار لقمان نموذجا للخلق يتمثل في بر الوالدين باعتبار أن الصلة

بالوالدين وبرهما بالإضافة إلى ما تحمل من معاني الوفاء ومعاني الرحمة والقيم التربوية الأخرى ، فإن هذه الصلة في بعض جوانبها تعتبر تمثيلا ومقياسا لصلة الابن بالمجتمع بمن حوله من الناس ، لأن الإنسان يضطر إلى التعامل مع من هو أقوى منه وأحيانا مع من هو أضعف منه وأحيانا مع من هو في حاجة إليهم ، وأحيانا مع من هم في حاجة إليه وأحيانا مع من ليسوا من أولئك ولا هؤلاء ولكنه يرتبط بهم لمجرد الصلة بالوالدين التي تمر في أغلب الأحيان بهذه الصور جميعا والمعنى المراد أنه إذا أحسنت صلة المرء بوالديه حسنت صلته بالناس جميعا في كل أحوالهم وعلى اختلاف أنواعهم، قال تعالى [ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبؤكم بما كنتم تعملون].

4-**البعد** السلوكي الأخلاقي: [يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور].

يتمثل هذا البعد بالصدق والإحسان والأمانة والعلم فهذه جوانب القيم المهمة التي تنبثق من الجانب الأخلاقي للسلوك الاجتماعي للفرد للشخصية المسلمة، فالصلاة مثلا تؤثر في السلوك الاجتماعي لأن المصلي صدوق ومحسن وأمين لأن صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر والشخصية المصلية مرتبطة بصلة روحية مع المولى -عز وجل - وليس المراد بالصلاة الحركات أو الأعمال الحسية من

ركوع أو سجود إنما هي عبادة كاملة شاملة أنواع القيم التي تساعد على بناء الشخصية السوية.

5-**البعد الاجتماعي الخاص والعام**: ويشمل هذا البعد على الدعوة إلى الخير، والمعاملة الحسنة ، والتعاون ، المسؤولية الاجتماعية. وهذا البعد شملته الوصية الخامسة قال تعالى [وأمر بالمعروف وانه عن المنكر] يبرز لقمان لابنه بعض سمات الشخصية التي تحدد وضع صاحبها في المجتمع لأن الشخصية تؤثر في المجتمع وصاحب الشخصية البارزة إنسان يأمر وينهى ويوجه مجتمعه وكذا الحال فإن الأمة السوية الشخصية تأمر وتنهى عن المنكر. بمعنى أن الأمة التي تشيع فيها هذه القيم تعتبر أمة بارزة وعظيمة قائدة وموجهة للأمم، ولقمان لا يريد أن يكون ابنه صالحا فحسب وإنما يريد له أن يكون رجلا قائدا عظيما، كما يشمل هذا البعد الوصايا التاسعة والعاشرة والحادية عشرة وتجد هذا ظاهرا في قوله تعالى (ولا تصعر خدك للناس ولا

تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)، حيث نهى لقمان ابنه عن التعالي على الناس واحتقارهم وقد أكدت بحوث علم النفس أن نزعة الكبرياء والغرور حين تتمكن من صاحبها وتلازمه يؤ دي ذلك إلى مرض نفسي واجتماعي، كما يوصي لقمان ابنه بالاستقامة العامة في السلوك وعدم العشوائية في القصد والمشي بدون هدف أو غاية وفي قوله تعالى: (واقصد في مشيك) يعني الاستقامة في الطريقة والاتجاه إلى الشيء والعدل

والاستقامة في السلوك وقد استعمل المشي مج ازا فالحكمة تقتضي أن يجعل الإنسان لمشيه وسعيه هدفا وفائدة وليس مجرد المشي بل المشي المقرون بالهدف.

وفي قوله تعالى (واغضض من صوتك) المقصود أن يتورع الشخص في إخراج صوته عند التحدث أو التخاطب والصوت الشديد والارتفاع فيه يخجل صاحبه كما يخجل الإنسان عندما يغض بصره وغض الصوت مطلب اجتماعي حضاري مدني يدل على أدب صاحب الصوت وثقافته وتحضره وسعة علمه ووعيه لذلك نفر لقمان ابنه من ارتفاع صوته وشبه الأصوات المنبعثة العالية بصوت الحمير.

6-**البعد الانفعالي العاطفي**: ويتمثل هذا البعد في الرضا – والأمل والصبر والاعتدال ويظهر هذا في الوصية السابعة في قوله تعالى [واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور] الإنسان الصابر تتصف شخصيته بالاعتدال والرضا والأمل بفرج من الله فهو مصدر قوة للنفس الإنسانية والتفوق الاجتماعي لا ينبع إلا من الصبر ومن مقومات القيادة عند بعض الاجتماعيين ، الحلم والصبر على الأذى والشجاعة ، وهي من سمات الشخصية السوية التي يوصي لقمان ابنه بها ليبلغ سلم المجد والعظمة والسيادة.

من المعروف أن كتاب الله تعالى هو المعجزة الخالدة التي أوجدها الله لتعمل

على مر العصور هداية وتربية لكل البشر قاطبة وكل ما جاء فيها من آيات وتوجيهات إنما يراد بها هداية للناس إلى خالقهم وتربيتهم على كلمة التوحيد والقيام بواجبهم في عمارة الأرض التي استخلفوا فيها ،وعليه فإن وصايا لقمان على اختلاف معانيها تضمنت بعض القيم التي تساعد على تكوين الشخصية الإسلامية المؤمنة بالله لمن أراد أن يستمسك بالعروة الوثقى ، وتصديقا لهذه الحقيقة قام الباحثان باستنباط البناء القيمي للشخصية وتحليلها من خلال وصايا لقمان لابنه في القرآن الكريم.

وإجمالا يمكن القول: إن لقمان أوصى ابنه بتوحيد الله وقد رسخ ذلك عن طريق الاقتناع بالعقل والمعرفة وهذا يؤدي إلى الأثر الوجداني للسامعين مما يسهل عملية الاقتناع، كما أن الوصايا راعت خصائص النفس البشرية من أحاسيس ومشاعر وعواطف وانفعالات ولعل من حكمة لقمان معرفته لمكامن التأثير عند ابنه فتعامل معها بصورة دقيقة لوجهها نحو الهدف من وصاياه بأقصر مسافة وأقل وقت، ولم يغفل لقمان عن الكرامة الإنسانية والسمو الروحي للشخصية السوية

ويمكن إجمال ما توصلت إليه الدراسة:

1-إن لوصايا لقمان تأثيرًا على الوجدان واستمالة القلوب فقد استخدم التشبيهات والاستعارات لتبقى شاخصة في نفس ابنه وتدعوه للتمسك بها بالتالي تدفع الشخصية الإنسانية إلى الطاعة والامتثال والالتزام

2-إن وصايا لقمان توسع آفاق الإنسان الفكرية والنفسية وتدرب الفرد على التجرد من كل هوى النفس وتمنحه القدرة على قياس الغائب بالشاهد [يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل ف تكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير.]

فما أحوجنا لتطبيقها اليوم في مؤسساتنا التربوية والاجتماعية لنبني من خلال الشخصية المؤمنة القانعة.

3-إن التنظيم القيمي للشخصية كما ورد في وصايا لقمان لابنه في القرآن يفتح الباب أمام دراسات شبيه وأكثر عمقا عن شخصية الإنسان وقيمته في كتاب الله العزيز فهذه الدراسة خطوة في طريقة أسلمة العلوم التربوية والنفسية وبيان المعجزة الإلهية في الذات الإنسانية لمواجهة ما يسمى بالعولمة.

4-وصايا لقمان: تفتح الباب لصياغة أدبيات هذه العلوم بما يتوافق مع المفاهيم الإسلامية بما يساعدنا في صقل عقول الناشئة المسلمة ويحقق لنا بناء الشخصية السوية التي تعيش في ضوء المتغيرات في كل عصر ومصر.

5-وصايا لقمان تشوق النفس البشرية وترغبها في العمل الصالح والأخلاق الحميدة وتدفعها إلى التحلي بها وتشرح لها النفس ، قال تعالى [يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر] كما أنها تنفر الذات

من فعل الأعمال السيئة والأقوال القبيحة وتدفعها إلى الابتعاد عنها وتركها بما تعرضه من صور معززة وتشبيهات قبيحة لتلك الأعمال المنهي عن إتيانها [ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور.[

6-للاستفادة من وصايا لقمان لابنه في الميدان التربوي فلا بد أن تتوفر في الموصي:

أ- الصفات التي تؤهله للقيام بمهمته التربوية التي تمكنه الاستفادة من وصايا لقمان لابنه.

ب -القدوة الصالحة والنموذج المحتذى به قولا وعملا..

ت -المعرفة بالعلم الذي يدرسه والتمكن في أخذه وعرضه على الآخرين.

ث -التحلي بالأخلاق الكريمة من الشفقة بالمتعلمين والرحمة بهم والحلم عليهم ويشعرهم بالحنان والعطف.

ج - الحرص على العدل بين الناس والنفع لهم.

ح - دراسة وصايا لقمان بفهم وتمعن وبذل أقصى درجات الاجتهاد لفهمها وتدبر معانيها والإحاطة بكل وقائعها من أجل اتخاذها منهجا يستشهد به.

خ - معرفة طبيعة الذات الإنسانية وغرائزها ونوازعها وشهواتها ودوافعها واستعداداتها واتجاهاتها وميولها ومكامن التأثير فيه او فن التعامل معها.

7-عندما توجه هذه الوصايا إلى الشخصيات السوية المؤمنة فإنها سوف تساعدنا على إخراج الإنسان الصالح بناء على حكمة الحكيم وشرع الجليل مما يؤدي إلى سعادة الفرد والمجتمع في الدنيا والفوز في الآخرة، وعلى ضوء المنهجية التي تنبثق من وصايا لقمان الحكيم يعم الصلاح وينقمع الشر ، ويختفي الفساد ، وينضبط السلوك فتزدهر الحياة نحو حضارة مثالية للإنسانية جمعاء.

توصيات:

1-تعتبر وصايا لقمان من الكنوز التربوية الدفينة في أصولنا والتي تحتاج من الباحثين التنقيب عنها لتستفيد منها الأمم والشعوب في بقاع المعمورة لكون رسالتنا علمية ومعجزتنا خالدة صالحة لكل زمان ومكان، فالقرآن الكريم منهج حياة كاملة لصلاح الدنيا وفلاح الآخرة.

2-يجب تفعيل دور وسائل التربية المقصودة وغير المقصودة كالأسرة والمدرسة ووسائل الأعلام وسائر مؤسسات المجتمع بتعليم وصايا لقمان.

3-التشمير عن سواعد الجد في إعداد أطر تربوية ونفسية لتحقيق النموذج النظري للشخصية المبني على القرآن الكريم وذلك لتضمن بناء شخصيات سوية تتمتع بالصفات والخصائص والصفات والقيم التي حددها الواحد الأحد.

4-العمل على تنمية الوعي الإسلامي لدى الأفراد وتنمية شعورهم بوحدة العقيدة كما بينت ذلك الوصية الأولى من وصايا لقمان.

5-الاهتمام بالوعي الاجتماعي والتربوي والنفسي على ضوء وصايا لقمان ونبذ ما هو مستورد من قيمنا ومفاهيمنا التي تدخل على مناهجنا من خلال المتغيرات التي يعيشها العالم اليوم في ظل الدعوة إلى العولمة وإبقاء مالا يتعارض مع أصولنا الثابتة.

6-استخلاص البرامج والمناهج التربوية والنفسية من الكتاب والسنة والاستفادة من وصايا لقمان في هذا المجال.

7-ضرورة إعداد كوادر قادرة على استنباط الآيات القرآنية وتحليلها التي توجه المسلمين خلقيا وتربويا واجتماعيا ، وذلك من أجل شحذ اهتماماتهم كل في ميدان تخصصه للوصول إلى نظرية تربوية ونفسية تستفيد منها شعوب العالم.